

رَمَضَانُ مَدْرَسَةٌ صَلَاةٌ وَاصْلَاحٌ

نَضِيدُ الشَّيْخِ :

عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ عَبْدِ الْحَسَنِ الْبَدْر

مَطْوَعَاتُ الشَّرِيعَةِ

لم يستفد من مدرسة الصيام تهذيباً لسلوكه وتطبيعاً لمعاملته .

وحذر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المقام تحذيراً عظيماً من أن يكون حظ الصائم من صيامه مجرد الجوع والعطش ، وأن يكون حظه من قيامه مجرد التعب والنصب ؛ وذلك عندما يفوت العبد على نفسه حسن الانتفاع من هذه المدرسة العظيمة التربوية الإيمانية الرائدة في تحقيق الأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة وتحقيق تقوى الله تبارك وتعالى . وفي هذا المعنى يقول النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت في المسند للإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ)) وذلك عندما يكون العبد مفرطاً الانتفاع من هذه المدرسة العظيمة مدرسة الصيام في تحقيق هذه المطالب الجليلة ؛ تقوى الله عز وجل ، وإصلاح حاله فيما بين العبد وبين نفسه ، وإصلاح المعاملة فيما بينه وبين عباد الله تبارك وتعالى .

عباد الله : وقد جُمعت هذه الخصال العظيمة المباركة ، التي هي إصلاح العبد نفسه فيما بينه وبين الله ، وإصلاحه لنفسه فيما بينه وبين نفسه ، وإصلاحه لنفسه فيما بينه وبين عباد الله وصلى الله عليه وسلم

رمضان في نيل الغفران والحرص على اكتساب هذه الحسنة ؛ حسنة الصيام والقيام في نيل المغفرة ، بل حذر عليه الصلاة والسلام من التفريط في هذا الأمر تحذيراً شديداً ، ففي الجامع للترمذي وغيره من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ)) .

أيها المؤمنون عباد الله : وأما ما في مدرسة الصيام من تحقيق للأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة والمعاملات الحسنة كما قال عليه الصلاة والسلام : ((وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)) ؛ فشأن الصيام في تحقيق هذا الباب شأنٌ عَجَبٌ ، فهو مدرسة عظيمة مباركة في تربية النفوس وتهذيبها على كل خلق فاضل كريم وأدب عالٍ رفيع ، ففي الصحيحين عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرُقُ وَلَا يَصْنَعُ ، فَإِنْ سَأَبَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيُقِلْ إِنْ أَمْرُ صَائِمٍ)) ، وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)) ؛ أي أنه لم يستفد من مدرسة الصيام تهذيباً لسلوكه وتطبيعاً لمعاملته .

((وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا)) ؛ فهذا فيما يتعلق بين العبد وبين نفسه ، ومن المعلوم -عباد الله- أن النفس أمارَةٌ بالسوء ميَّالة إلى الخطأ ، وفي الحديث : ((كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)) ، ولهذا حث النبي عليه الصلاة والسلام حث عباد الله على الاستكثار من الحسنات لأن الحسنات يُذهبن السيئات وتأمّل -رعاك الله- كم في الصيام وفي شهر الصيام من تحقيق لهذا المطلب العظيم ؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة : ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) ، وجاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ)) .

وأكد النبي صلى الله عليه وسلم تأكيداً عظيماً على الاهتمام بهذا الأمر والعناية بأمر دخول شهر

أما تقوى الله عز وجل ؛ فإن الصيام مدرسة عظيمة في تحقيق التقوى ، فقد افتتح الله جل وعلا آيات الصيام من سورة البقرة بقوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » [البقرة: ١٨٣] ، واختتم جل وعلا آيات الصيام من السورة نفسها بقوله جل وعلا : « كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ » [البقرة: ١٨٧] .

فالصيام -معاشر المؤمنين- مدرسة عظيمة لتحقيق تقوى الله عز وجل وحسن مراقبته جل في علاه وخشيته في الغيب والشهادة ؛ فكم في الصيام من الدروس البالغات والعظات العظيمة المؤثرات في تحقيق تقوى الله تبارك وتعالى ، وذلك فيما يحققه الصيام من صبر ، وخشوع ، وسكينة ، ووقار ، وطمأنينة ، ومراقبة لله تبارك وتعالى في الأعمال كلها ، ولهذا جاء في الحديث أن الله تبارك وتعالى قال : ((الصِّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)) ؛ لما في الصيام من خصوصية عظيمة في تحقيق تقوى الله عز وجل وأنه سرٌّ في التعامل بين العبد وبين مولاه جل في علاه .

عباد الله : وأما ما في مدرسة الصيام من تحقيق للمطلب الثاني ، وهو معاملة العبد مع نفسه وذلك في قول النبي عليه الصلاة والسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها المؤمنون عباد الله : إن شهر الصيام مدرسة عظيمة للإصلاح والإصلاح ، وتركية النفوس ، وتقوية الصلة بالله تبارك وتعالى ، والإبعاد بالنفوس عن رعوناتها وطغيشها وسفورها ، وإصلاحها سكينةً ووقاراً ، وطمأنينةً وحسن تعامل .

عباد الله : ومن الأحاديث الجوامع الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه الترمذي في جامعه من حديث أبي ذرٍّ وحديث معاذٍ رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((اتَّقِ اللَّهَ حَيْنَمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)) .

عباد الله : هذا الحديث العظيم عده العلماء في جوامع كلم الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه جمع للمسلم كل ما يحتاج إليه في باب الإصلاح والإصلاح ؛ صلاحه فيما بينه وبين الله ، وصلاحه فيما بينه وبين نفسه ، وصلاحه في تعامله مع عباد الله تبارك وتعالى . فهو حديث جامعٌ عظيم في باب تحقيق الإصلاح والإصلاح .

أيها المؤمنون عباد الله : وإذا تأملت في مدرسة الصيام وجدت أنها محققة هذه الأمور الثلاثة التي اشتمل عليها هذا الحديث الجامع العظيم :